لا يمكن لاي مراقب سياسي يجيد قراءة الحدث الا وان يسلم بمشروعية التساؤل عما اذا كانت بدأت مرحلة ازالة العقبات الفلسطينية ، فلسطينيا ، بعدما لعبت اطراف اخرى (ولا تزال) دورها الخاص ، في اجراء التمهيدات اللازمة ، من تحجيم للمقاومةالفلسطينية، ومن عمليات التدجين والتطويع المتدرجة التي ترغب وتؤهل بعض قيادات المقاومة المنخرطة في مسار التسوية السلمية ، لازالة العقبات داخل الصف الفلسطيني ، او المساهمة في ذلك ، استعدادا لطاولة المفاوضات في جنيف .

طريق التصدي لمشاريع التسوية التصفويـة

التسويـة السيـاسيـة !

هل تزيل قيادة المنظمة عقبة المقاومة؟

وبقدر ما شهدت الاسابيع القليلة الماضية من ضجيج في حركة السير العربية على طريق التسويه ، تشهد الساحة الفلسطينية كثافه حركة مشابهة ، في هذا الاتجاه، وهذه الحركة تطرح بالحاح اكثر من اي وقت مضى، السؤال الخطير عما اذا كانت بعض قيادات المقاومة الفلسطينيه القابلة للتطويع العربي ستلعب دورا في مخطط مصادرة البندقية الفلسطينية . فاجهاض المقاومه وتحويلها الى مجرد هيئه تمثيلية تجلس على الطاوله المستديره في جنيف ، لتفاوض على « الممكن » في ظل موازين القوى الراهنه ، هو مطلب الساعين الى تسوية شامله ونهائية للصراع العربي ـ الاسرائيلي تصفي القضيه الفلسطينيه ، وتحكم قبضه الامبريالية الاميركية على وطننا العربي .

■■ اي ثمن ؟

وما يجعل طرح هذا السؤال مشروعا في هذا الظرف ليس مجرد مؤشرات ضمنية تفسيراتها قابلة للاخذ والرد ، بل انها نهج وسلوك معينين وتصريحات فجة في وضوحها ، لا تعطي مجال التلطي وراء حجة « التكتيك البارع » وغيرها . وعندما يعلن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بنفسه استعداده لاقامة دولة فلسطينية على الاراضي المحررة وتلك التي تجلو عنها اسرائيل فانه بذلك يعلن ضمنا ، وقوفه في مواجهة القوى النضالية الرافضة لهذا المشروع التصفوي ، ولكافة الحلول التي تفرض الاستسلام للارادة الصهيونية والامبريالية ، لان هذه القوى مصممة على التصدي لمثل هذه المشاريع .. وفي احسن الاحوال ، وقوف هذه القيادة موقف المتفرج من ضرب هذه القوى الرافضة ، والذي لا يمكن في هذه المسالة المصيرية ، ان يكون براءا من التواطؤ .

ان القوى المصممة على عقد صفقة التسوية النهائية بيننا وبين العدو الصهيوني ، وخاصة الانظمة العربية منها ، « بذلت وتبذل » جهودا كبيرة لتعبيد طريق التسوية السياسية من خلال تصفية العقبة الفلسطينية ، الى الحد المقبول بمقاييسهم : بتحجيمها وتطويعها الى درجة الشريك الاصغر « العاقل » الذي يرتشي بفتات مائدة صفقة « الكبار » . ومنذ انخراط قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في مسيرة التسوية فانها ارادت ام لا ، قد قبلت بمبدأ عقد صفقة تسوية ، وحصر سعيها بتحسين الشروط الفلسطينية فيها .

ومع طرح احتمالات التسوية الشاملة مع الكيان الصهيوني اليوم بجدية اكثر من اي وقت مضى ـ وحرب لبنان المدمرة تكفي دلالة على مدى هذه الجدية ـ فان رفض منظمة التحرير الخروج من طريق الانظمة العربية الى التسوية ، لا بل توغلها اكثر فاكثر على هذا الطريق ، يطرح عمليا ، مصير البندقية المناضلة الفلسطينية ، ومدى مشاركة قيادة المنظمة في خطة مصادرتها وكبت حامليها .

ومن السذاجة التساؤل عما اذا كانت قيادة منظمة التحرير تعي حقيقة وطبيعة اي سلطة فلسطينية يمكن ان تعطى لها ، وتعي ثمن هذه السلطة ومستقبلها . وليس كلامها عن التكتيك الا من باب الدفاع عن موقف لا بد تدرك بانه يتطلب بالضرورة تصفية النضال الوطني الفلسطيني المسلح ضد العدو الاسرائيلي المسنود من المعسكر الامبريالي .

■■ الدفع مسبقا

ان الذين يعدون منظمة التحرير بدويلة فلسطينية ملحقة وترسف بقيود اسرائيلية واميركية ورجعية ، يطالبونها بدفع بعض الفواتير مسبقا على اساس ان هناك دفعات مسبقة واخرى لاحقة . وتبدي هذه القيادة الى الان ، استعدادا ملحوظا في هذا الاتجاه، تعطي به ادلة اضافية على تصميمها ان تكون طرفا في صفقة التسوية ، صغيرا كان ، مستقلا ، او ملحقا بطرف عربي . اذ ليس الاصرار العلني المترجم في تصريحات بعضهم ، على ان تشارك منظمة التحرير كطرف مستقل ، في مؤتمر جنيف اذا انعقد ، ليس ضمانه ابدا بان يكون هذا الموقف مبدئي ولا حياد عنه ، وسوابق تراجعات هذه القيادة الفلسطينية كافية دلالة على مشروعية الشك بتطميناتها وتاكيداتها ...

لقد قبلت قيادة منظمة التحرير بعودة الصاعقة، هكذا وبكل بساطة ، وكان شيئا لم يكن . بل وكان ما كان دلالات سياسية له تستحق الوقوف عندها . بينما الواقع ان ما كان ، كان من صلب المخطط التصفوي ضد الثورة الفلسطينية ، الذي نشهد فصوله المستمرة على الساحة اللبنانية ، والذي لا يختلف احد على علاقته المباشرة بتعبيد طريق امام صفقة التسوية . فمنظمة الصاعقة ، كتمثيل ملفوم في قلب الساحة الفلسطينية ، للارادة الاستسلامية للانظمة العربية ، كان ولا يزال لها دورها المحدد في مخطط مصادرة البندقية الفلسطينية وضرب القوى الرافضة لمشاريع التسوية التصفوية وضمان قيادة مطواعة الى اخر حد ، لمنظمة التحرير كممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني .

والبيان الختامي لاجتماعات المجلس المركزي الفلسطيني التي انعقدت في دمشق ، يعكس المسافة التي قطعتها خطوات قيادة منظمة التحرير الى الوراء . فهو يغيب عمدا وليس جهلا ، طبيعة الدور الرئيسي الذي لعبه نظام الحكم السوري في المخطط التصفوي ضد الثورة الفلسطينية في لبنان . فهو يسجل اولا ، بان انعقاد المجلس في العاصمة السورية انما يعبر عن « عمق العلاقة الاستراتيجية » بينه وبين الثورة الفلسطينية . ويسجل ثانيا ، الترحيب بعودة العلاقات « الطبيعية » بين المنظمة وسوريا . كما انه يسجل « الايمان بالدور التاريخي للتحالف المصري ـ السوري ـ الفلسطيني في بناء التضامن العربي الكفيل بمجابهة القوى الصهيونية والامبريالية وتحقيق اهداف امتنا العربية في تحرير اراضينا المحتلة واستعادة حقوقنا المغتصبة » ، وفي ذلك تغييب ليس فقط لانخراط النظامين السوري والمصري في طريق التسوية السياسية وقرارهما الخروج من خندق الصراع الوطني ضد العدو الصهيوني ، بل تغييب ايضا لانخراط قيادة منظمة التحرير نفسها في هذه الطريق الاستسلامية لارادة معسكر العدو .

ان مصادر قيادة منظمة التحرير كانت حريصة في التاكيد ضمن جدران الكواليس بان : ١ ـ ليس هناك شيء اسمه تسوية ، بل وهم تسوية ، وبانه لم يعرض على القيادة الفلسطينية شيء بهذا الصدد ، وبالتالي فلا ضرورة سؤال هذه القيادة (من جانب قوى الرفض الفلسطينية) من قضية التسوية السياسية ، وما اذا كانت ستشارك فعلا ، في مؤتمر جنيف اذا انعقد . ٢ ـ بان قيادة منظمة التحرير تعتبر ان المقاومة لا تزال تخوض معركة مع الحكم السوري ومنظمة الصاعقة ، وبان محاولات تغيير قيادة المنظمة مستمرة .

ولكن اذا لم يكن هناك مشروعا تفصيليا جاهزا لصفقة التسوية السياسية مع العدو الاسرائيلي ، فان هذا لا ينفي وجود هدف لوضع مثل هذا المشروع المفصل عندما تستكمل الشروط الملائمة بمقاييس العدو الصهيوني ـ الامبريالي الاميركي . وعلى قيادة المقاومة الفلسطينية تحديد موقفها من كافة التحركات لتلبية هذه الشروط ، انطلاقا من نبذ النهج التسووي ، والتصدي الفاعل للنهج الاستسلامي العربي ، بالاستناد الى الجماهير الفلسطينية والعربية بطاقاتها الهائلة الكامنة .

والملاحظة الثانية ، ان منظمة التحرير راغبة في ابراز انها القوة المسيطرة في الساحة الفلسطينية ، لان المطلوب منها آن تكون كذلك للجم وكبت القوى الرافضة تسليم بندقيتها . والقول بان معركتها مع دمشق (والصاعقة) لا تزال مستمرة بهدف استبدالها بوجوه قيادية جديدة داجنة وطيعة ، هو بمثابة استجداء الالتفاف حولها ، مع بقائها ضمن اطار التسوية . بينما القوى الرافضة للحلول الاستسلامية ، وفي مقدمتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد اعلنت مرارا ان الاساس الوحيد الممكن لاقامة وحدة وطنية فلسطينية حقيقية هو الخروج الفعلي لهذه القيادة من طريق التسوية الاستسلامية ، كما اعلنت تكرارا بانها ستواصل السعي الجاد لاخراج القيادة من هذا الطريق التصفوي .

وبذلك تبقى الدعوة في البيان الختامي للمجلس المركزي الفلسطيني ، الى ضرورة تأمين الوحدة الوطنية الفلسطينية على اسس جبهوية وديمقراطية ، مجرد كلام جميل الوقع ، يتجاهل اسباب فقدان هذه الوحدة ، وشروط قيامها وتدعيمها . وهذا التجاهل المتعمد ينعكس بشكل صارخ في تضمين البيان الدعوة الى الوحده الوطنية الفلسطينية من جهة ، والاشارة في آن ، الى الاستعداد بالقبول بالدويلة الفلسطينية التي ستفرزها صفقة التسوية !

■■ المخرج واحد من المأزق

ان اجتماع المجلس المركزي الفلسطيني في دمشق الذي لم تحضره بالطبع فصائل جبهة الرفض الفلسطينية ، كان موضوع ترحيب في دمشق . فقد اعتبر الاعلام السوري ان ما يدعو الى « الارتياح اكثر » في انعقاده ، هو « ان يلتقي على الطاولة نفسها ، مسؤولون خاضوا فيما بينهم معركة ضارية » . (صحيفة تشرين) . واعرب هذا الاعلام عن الامل في ادراك القياديون الفلسطينيون « خطورة » الموقف السائد في الشرق الاوسط ، مشددا على ضرورة « الحفاظ على تماسك الجبهة الفلسطينية وتعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة وخارجها ، بما يتوافق مع الجهود الحالية التي يبذلها الزعماء العرب من اجل تعزيز التضامن ووحدة العالم العربي » . (« البعث ») .

ونقاط تركيز الاعلام السوري هذه كانت ايضا من النقاط البارزة في البيان الختامي للمجلس المركزي . فقد دعت القيادات المجتمعة الى « المزيد من العمل لتدعيم التضامن العربي » وفق قرارات القمم العربية ، بما يخدم النضال العربي والفلسطيني ضد الصهيونية والامبريالية وتفشيل كل المشاريع التصفوية المشبوهة ، وثمنت بتقدير ، عودة العلاقات بين فصائل المقاومة ورفاق السلاح (!؟) الى طبيعتها ... وكأن انظمة دول المواجهة العربية المستندة الى صناديق الرجعية العربية تقف على طريق النضال ضد العدو الاسرائيلي ـ الاميركي وتتصدى لمشاريعه التصفوية المشبوهة !

ان قرارات مؤتمري الرياض والقاهرة ، قرارات جاءت نتيجة تضامن الانظمة العربية المنخرطة في طريق التسوية السياسية مع العدو الصهيوني . والتزام قيادة منظمة التحرير في اجتماعات المجلس المركزي في دمشق ، وكما اكدت في البيان ، « بضرورة النضال لانجاح هذه المقررات » ، وبضرورة العمل « لتدعيم التضامن العربي » ، هو التزام بالعمل « بما يتوافق » مع جهود الانظمة العربية من اجل تعزيز تضامنها الكفيل بتمرير الحلول الاستسلامية ، وليس الكفيل بمجابهة القوى الصهيونية والامبريالية ، لتحقيق اهداف الامة العربية في التحرير واستعادة الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطيني !

في الواقع يعكس البيان الختامي للمجلس المركزي بالاضافة الى التزام قيادة منظمة التحرير بالتسوية السياسية التصفوية ، مدى الارتباك الذي يصيبها من هذا الاختيار وهو الاختيار الذي يكمن وراء ما منيت به الثورة الفلسطينية من انتكاسات في السنوات القليلة الماضية ، وخاصة في السنة الاخيرة ، ووراء المأزق الذي تجد فيه الثورة نفسها الان . انه ايضا مأزق قيادة مقاومة ، اختارت الطريق الذي يفترض مصادرة بندقية هذه المقاومة . ولا مخرج من هذا المأزق الا مخرج نبذ السير في طريق التسوية الاستسلامية ، واختيار طريق التصدي لمشاريع التسوية التصفوية ، والثورة قد عبرت عتبة اخطر وادق مرحلة واجهتها الى الان .

■■